بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

المؤتمر العام الرابع عشر

٢٢- ٢٥ شعبان ١٤٢٨هـ/ ٤- ٧ أيلول ٢٠٠٧م

حب الناس بعضهم لبعض

الشيخ سعيد عبد الحفيظ حجاوي

عمّان - المملكة الأُردنيّة الهاشميّة

حب الناس بعضهم لبعض

الشيخ سعيد عبد الحفيظ حجاوي

الحب كلمة تبدأ بحرف الحاء، وهو من أقصى حروف الحلق، وتنتهي بالباء وهو للشفة، وأعطى أهل اللغة حركة الضم للحاء التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها، وأعطوا الحِب، وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها عن الضمة، وذلك لخفة ذكر المحبوب على قلوبهم وألسنتهم. (بصائر ذوي التمييز ٢/٤١٧).

ومعنى الحب في اللغة: الوداد والمحبة، وهو نقيض البغض والكره (لسان العرب ٢/٦)، المعجم الوسيط ١/١٥٧، تاج العروس ٢/٢١٢، ٢١٣)، والود هو صفو المحبة وخالصها ولبها (البصائر ٢/٤٢١) وألطفها وأرقها، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة، والودود من صفات الله تعالى أصله من المودة. (روضة المحبين ص ٥٥)، ويدور معنى المحبة على خمسة أشياء:

أحدها: الصفاء والبياض ومنه حَبَب الأسنان لبياضها ونضارتها.

الثاني: العلو والظهور، ومنه حَبَب الماء وحبابه، وهو ما يعلوه من النفاخات عند المطر، وحبب الكأس منه.

الثالث: اللزوم والثبات، ومنه حبّ البعير، وأحب إذا برك ولم يقم.

الرابع: اللُّباب والخلوص، ومنه حَبَّة القلب للبّه وداخله، ومنه الحبة لواحدة الحبوب، إذ هي أصل الشيء، ومادته وقوامه.

الخامس: الحفظ والإمساك، ومنه حُبّ الماء للوعاء؛ الذي يحفظ فيه ويمسكه، وفيه معنى الثبوت أيضاً. (بصائر ذوي التمييز ٢/٤١٦، ٤١٧).

وعلى ضوء هذا عرف الفيروزآبادي رحمه الله تعالى المحبة بأنها :"صفاء المودة، وهيجان إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزوماً لا تفارق، ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه، ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه" (البصائر ٢/٤١٧) . وعرف الشبلي رحمه الله تعالى المحبة: بأنها "اتباع أوامر المحبوب، وتجنب نواهيه، ومع ذلك فيجب الصدق والإخلاص، وكتمان الحال مع بذل الجهد في المجاهدة ثم بعد ذلك لا توصّلَ للمحبوب" (لطائف المنن ص ١١٩) .

وعرف الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الحب بأنه "عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ ، فإذا تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقاً" (إحياء علوم الدين ٤/٢٩٦) وعرفه الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى بأنه "اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع" (طوق الحمامة ص٦) .

وعرفه الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى بأنه "غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب" (روضة المحبين ص ٢٢)

وعرفه القاضي : "ميل النفس إلى الشيء لكمال فيه" (فيض القدير ١/١٦٧) .

وعرف الفلاسفة الحب "ميل إلى الأشخاص، أو الأشياء الغريزة، أو الجذابة أو النافعة" (المعجم الوسيط ١/١٥٧) .

وبالنظر إلى هذه التعريفات نجد أن تعريف الفيروزآبادي ينصب على محبة الله تعالى إذ يشير إلى أن ابتداء الحب منه وانتهاءه إليه سبحانه، ويورد من الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ثم يقول "فلا يلتفت إلى من أوّل محبته تعالى لعباده بإحسانه إليهم وإعطائهم الثواب . ومحبة العباد له تعالى بمحبة طاعته والازدياد من الأعمال لينالوا به الثواب، فإن هذا التأويل يؤدي إلى إنكار المحبة، ومتى بطلت مسألة المحبة بطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، وتعطلت منازل السَّير، فإنها روحُ كلِّ مقام ومنزلةٍ وعمل، فإذا خلا منها فهو ميّت،ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها ، بل هي

حقيقة الإخلاص؛ بل هي نفس الإسلام، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له البتَّة" (بصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٢٠).

ومما يؤكد أيضاً على أن التعريف ينحصر في محبة الله تعالى ذكره للأسباب الجالبة للمحبة وهي عشرة:

الأول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وتفطن مراد الله منه.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصّل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار مَحابّه على محابّك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، أحبه لا محالة.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يديه.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقالب والقلب بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين والصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، وألا يتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعَلِمَ أنّ فيه مزيداً لحاله.

العاشر: مباعدة كلِّ سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل. (بصائر ذوي التمييز ٢/ ٤٢١، ٤٢٢).

أما تعريف الشبلي رحمه الله تعالى فهو يركز على محبة الله تعالى وتقواه باتباع أوامره واجتناب نواهيه بصدق قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر:٣٣)، وبإخلاص أيضاً قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة:٥).

فالعبادة: هي الحب مع الذل، فكل من ذللت له، وأحببته دون الله فأنت عابد له. (مدارج السالكين ٢، ١٨٢).

ذلك أن محبة الناس لا تقتضي المتابعة على إطلاقها؛ بل هي محكومة بالشرع، ولو مع أقرب الناس كالوالدين قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (لقمان:١٥).

وعن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا طاعة لأحد في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف" (فيض القدير ٦/٤٣٢ رقم الحديث ٩٩٠٢). أي لا طاعة لأحد من المخلوقين كائناً من كان، ولو أبا، أو أما، أو زوجاً في معصية الله، بل كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله، فالطاعة فيما رضيه الشارع واستحسنه. (فيض القدير ٦/٤٣٢).

وأما تعريف الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فيعلق الحب على اللذة فقال عنه: "لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات، ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها، فكانت محبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين في الإبصار، وإدراك المبصرات الجميلة، والصور المليحة الحسنة المستلذة، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم، ولذة اللمس في اللين والنعومة.

ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة، أي كان للطبع السليم ميل إليها؛ حتى قال رسول الله ﷺ "حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة" (من حديث أخرجه النسائي دون قوله ثلاث) . فسمى الطيب محبوباً، ومعلوم أنه لا حظ للعين والسمع فيه، بل للشم فقط، وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات، ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس منطقته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب" (الإحياء ٤/٢٩٦، ٢٩٧) .

وهكذا تجاوز المدرك بالحواس الخمس التي تشارك فيها البهائم الإنسان إلى مدرك لا يدرك بهذه الحواس إلى حس سادس يعبر عنه بالعقل أو بالنور أو بالقلب . . . ويقول: " فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للإبصار، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم، والعقل السليم إليه أقوى، ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة" (إحياء علوم الدين ٤/٢٧٩) .

وهكذا جمع التعريف بين لذة الجسم، وبين لذة الروح، بين الحب الذي سببه الحواس، وبحكم الخلقة، وبين الحب الراسخ لله وحده وهو بالهدى والعقل الذي هو مناط التكليف ليتحقق الإيمان بالله تعالى .

وأما تعريف الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى فينصب على اتصال نفوس الناس لتأتلف الأرواح، فكان التركيز على محبة الناس بعضهم لبعض فتأتلف الأرواح كما أشار الحديث الشريف "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" . ولعل لابن حزم رحمه الله تعالى العذر فيما كتب مما هو بين أيدينا من خلال قوله: " . . . وفي ذلك أقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن أمير المؤمنين الناصر رحمه الله في كلمة لي طويلة وكان لي صديقاً :

أودّك وُدّاً لـــيس فيـــه غـــضاضةٌ وبعـــض مـــودات الرجـــال ســـرابُ
وأمحـضتُكَ النـصح الـصريح وفي الحـشى لـــودّك نقـــشٌ ظـــاهر وكتـــاب
فلـــو كـــان في روحـــي هـــواك اقتلعتـــه ومُـــزّق بـــالكفين عنـــه إهـــاب
ومـــا لي غـــيرُ الـــود منـــك إرادةٌ ولا في ســـواه لي إليـــك خطـــاب
إذا حُزتُـــه فـــالأرض جمعـــاء والـــورى هبـــاءٌ وسكـــان البـــلاد ذبـــاب

وكلّفتني أعزك الله أن أصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيداً ولا مفتنا لكن مورداً لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حفظي وسعة باعي فيما أذكره، فبدرت إلى مرغوبك، ولولا الإيجاب لك لما تكلفته، فهذا من الفقر، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به رحْبَ المنقلب وحسن المآب غدا، وإن كان القاضي حمام بن أحمد حدثني عن يحيى بن مالك عن عائذ بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء أنه قال: أجمُّوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق" (طوق الحمامة ص ١، ٢).

ويشير الأستاذ إبراهيم الأبياري في تعريفه وتقديمه لكتاب طوق الحمامة – إلى التشكيك به فيقول: "وأراني قد قلت كثيراً عن ابن حزم، ولم أقل عن كتابه "طوق الحمامة" إلا في معرض الاستشهاد به عن صراحة الرجل، وحرصه على أن يجمع بين يدي موضوعه أدلة لا يستثني".

إلى أن يقول: "وشيء أخير وهو أن يذكر "المقري" نقلا عن الكتاب ما ليس في الكتاب المعروف للناس، ومنه يعود الشك أقرب إلى اليقين أنَّ الكتاب كان من بين ما امتدت إليه الأيدي، وأن ما وجد منه بين يدي فئة كان غير ما وجد منه عند غيرهم زيادة ونقصاً، وإن صح هذا، فقد يصح غيره،

ولعل تلك اللفتة تكاد تملي علينا بأن الكتاب منقوص، ولا يزال منه في بطون الغيب أوراق لم يسعها مخطوط، ولم تتصل بتدوين مدون، ولا يعلم إلا الله مصيرها" (ص و،ز) .

وأما تعريف الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى –فيركز على مشاعر قلب المحب عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب، وهو يتخطى الحب إلى الود الخالص، لكنه الحبُّ النابع من محبة الله تعالى فهو يقول: "أن يكون الله عزّ وجلّ –أحب شيء إلى العبد وهذه تعرف بثلاثة أشياء أيضا :

أحدها : أن تسبق محبته إلى القلب كل محبة، فتتقدم محبته المحاب كلها .

الثاني: أن تقهر محبته كل محبة، فتكون محبته إلى القلب سابقة قاهرة، ومحبة غيره متخلفة مقهورة مغلوبة منطوية في محبته .

الثالث: أن تكون محبة غيره تابعة لمحبته، فيكون هو المحبوب بالذات، والقصد الأول، وغيره محبوبا تبعاً لحبه، كما يطاع تبعاً لطاعته، فهو في الحقيقة المطاع المحبوب" . (مدارك السالكين ٢/١٨٢، ١٨٣) .

وهو يربط بين الإيمان وبين ما يتصل بالقلب وما ينفصل عنه فيشير إلى التبتل مثلاً بقوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلاً ﴾ (المزمل:٨) فالتبتل الانقطاع إلى الله بالكلمة وهو لا يصح إلا بالانفصال والاتصال .

فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه، وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله، خوفاً منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة به، أو فكراً فيه بحيث يشغل قلبه عن الله .

والاتصال: لا يصح إلا بعد هذا الانفصال وهو اتصال القلب بالله ، وإقباله عليه وإقامة وجهه له حباً وخوفا ورجاء وإنابة وتوكلا" (مدارج السالكين ٢/٣٠) .

فالحب إيمان يملأ القلب، وينسجم مع ما يصدر عن المحب من قول أو فعل، ومع ظاهره وسلوكه تجاه المحبوب، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى "المحبة شجرة في القلب ذات عروق، وساق، وأغصان،

وورق، وثمر، فالمحبة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تستقيها ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصاً". (روضة المحبين ص ٤٣١).

وأما تعريف القاضي رحمه الله تعالى فيعلق الحب على ميل في النفس نحو كمال في الشيء الذي تميل إليه، فيدخل في ذلك حب الله تعالى: وحب غيره مما تميل إليه النفس أو يشاكلها، من أشياء، والله عز وجلّ شيء لكنه مختلف ومتميز عن غيره في ذاته وأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص:٨٨). وإن سبب ميل النفس الإنسانية نحو الشيء هو البحث عن الكمال، وهو نسبي في الأشياء غير الله تعالى بل قد تتغير بتغير الحال، أو الزمان، أو بتغير النفس التي تميل إليها، والله تعالى وحده المتصف بصفات الكمال المطلق، والمتفرد بها، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى:١١).

ويقول القاضي رحمه الله تعالى: "والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل ما يراه؛ كمالا في نفسه أو غيره فهو من الله، وإلى الله، وبالله، ولم يكن حبه إلا لله، وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته، فسرت المحبة بإرادة الطاعة، واستلزمت أتباع رسوله اهـ" (فيض القدير ١/١٦٧).

وعلى هذا فالمحبة لله تعالى لا تتعلق بإدراك الحواس؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام:١٠٣).

فالمحبة له سبحانه روحانية، والروح سر الحياة، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:٨٥).

وجاء في شرح المواقف: "محبتنا لله تعالى كيفية روحانية مترتبة على تصور قدسه؛ بلا فتور، ولا قرار، ومحبتنا لغير الله كيفية تترتب على تخيل كمال فيه؛ من لذة، أو شفقة أو مشاكلة، كمحبة

العاشق لمعشوقه، والوالد لولده، ثم هي عندنا الرضا والإرادة؛ مع ترك الاعتراض، وقيل الإرادة فقط، والإرادة لا تتعلق إلا بمحدود، وهو سبحانه وتعالى، لا حد له؛ لأن المريد إنما يريد ما ليس بكائن، أو إعدام ما يجوز عدمه، وما ثبت قدمه، واستحال عدمه لا تتعلق به إرادة اهـ" (فيض القدير ١/١٧٨) .

أما تعريف الفلاسفة: فهو ميل بسبب نحو الأشخاص، أو الأشياء يعتمد على الحواس .

وبعد، فلا بد من الإشارة إلى أن الكثير الكثير من الناس قد عبروا عن مشاعرهم وتجاربهم ومفاهيمهم للمحبة بالنظم والنثر، بل ورافق الكثير منه النغم واللحن، وهو لا يعنيني ويستحيل عليَّ حصره، لكن أورد بعض زُبَدٍ أوردها ابن القيم – رحمه الله تعالى – مما قيل في الحب "الميل الدائم بالقلب الهائم"، "عمى القلب عن رؤية غير المحبوب، وصمه عن سماع العذل فيه، وفي بذل المجهود فيما يرضي الحبيب"، "اتحاد مراد المحب، ومراد المحبوب"، "موافقة الحبيب في المشهد والمغيب" "الإرادة التي لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر"، "سكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون"، "إيثار المحب على جميع المصحوب"، "استقلال الكثير منك لمحبوبك، واستكثار القليل منه إليك" (روضة المحبين ص ٢٥، ٢٦) .

أقسام المحبة: إذا نظرنا إلى ذات المحبة فهي قسمان: أ) محبة مشتركة . ب) محبة خاصة .

أ – محبة مشتركة: وهي ثلاثة أنواع:

١ – محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ونحو ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى "ولا يطلب من الإنسان رفعها، ولا بإزالة ما غرز في الجبلة منها؛ فإنه من تكليف ما لا يطاق . . . ولكن يطلب قهر النفس عن الجنوح إلى ما لا يحل، وإرسالها بمقدار الاعتدال فيما يحل" .

٢ – محبة ورحمة وإشفاق كمحبة الوالدين لطفليهما، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم .

٣- محبة ألفة وأنس واشتراك في المطالب كالمشتركين في صناعة أو علم أو تجارة أو سفر، وكمحبة الأخوة والقرابة بعضهم بعضاً .

وهذه الأنواع الثلاثة من المحبة مباحة، فالرسول ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، وكان يحب أن يشرب من بئر بيرحاء بالمدينة المنورة، وكان يحب نساءه، وكان يحب أصحابه رضي الله عنهم وعن نسائه .

وأشير أن الشاطبي رحمه الله تعالى حصر الأوصاف المطبوع عليها الإنسان في نوعين لا في ثلاثة: " ١ – ما يكون ذلك فيه شاهداً محسوساً ٢- ما يكون خفياً حتى يثبت بالبرهان من ذلك" .

فالمحبة متعلقة بالحواس كما في النوع الأول في كلا التقسيمين، أو بالقلب فيما ذكر بعد ذلك، والأوصاف القلبية لا يقدر الإنسان على إثباتها، أو نفيها، وبالتالي فلا يقدر أيضاً على جلبها أو دفعها بأنفسها، وهي على ضربين: أحدهما: ما كان نتيجة عمل في نحو قوله: " أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَمِه" .

والثاني: ما كان فطرياً ولم يكن نتيجة عمل مثل قوله ﷺ لأشَجُ عبد القيس: "إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة"، وقوله: " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" وهذا معنى التحاب والتباغض وهو غير مكتسب .

وينظر إلى هذا من جهتين إحداهما: من جهة ما هي محبوبة للشارع أو غير محبوبة ؟ والثانية: من جهة ما يقع عليها ثواب أو لا يقع ؟

ولما كان الشارع لا يكلف الإنسان ما لا يطيق قال تعالى: ﴿ **لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (الأنعام:١٥٣، الأعراف: ٤٢) وقال تعالى: ﴿ **وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ** ﴾ (المؤمنون: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة:٢٨٦) . كما جعل الشارع العقل مناط التكليف، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "رفع القلم

عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يَكبَر" يقول الشاطبي رحمه الله تعالى " ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً" فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: "اللهم هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" (رواه أبو داود في سننه كتاب النكاح/ باب القسم بين النساء رقم ٢١٣٤ ، والترمذي في سننه في كتاب النكاح/ باب ما جاء في التسوية بين الضرائر رقم ١١٤٠، والنسائي ٦٤/٧، وابن ماجه رقم ١٩٧١، ومسند الإمام أحمد ١٤٤/٦، والدارمي ١٤٤/٢، والحاكم في المستدرك ١٨٧/٢، وابن حبان في الموارد ٣١٧) . وقال ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى : ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** ﴾ (النساء:١٢٩) فقال: يعني ، الحب والجماع" .

ب)محبة خاصة:

وهي محبة الإنسان لله تعالى محبة عبودية له سبحانه، تستلزم الخضوع، والتعظيم، وكمال الطاعة" . (انظر طوق الحمامة ص ٧، وروضة المحبين" ص ٨٦، ١٨٩، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٤١١، الموافقات ١٠٧/٢ – ١١٩) .

"والمحبون هنا ثلاثة أقسام منهم من يريد من المحبوب، ومنهم من يريد المحبوب، ومنهم من يريد مراد المحبوب مع إرادته للمحبوب وهذا أعلى أقسام المحبين" (روضة المحبين ص ٢٨٧) .

ومراتب هذه المحبة أربع:

"الحب لله، والحب في الله، والحب بالله، والحب من الله .

فالحب لله ابتداء، والحب من الله انتهاء، والحب في الله وبالله واسطة بينهما، والحب لله: أن تؤثره، ولا تؤثر عليه سواه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ**

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤) .

والحب في الله: أن تحب فيه من والاه .

والحب بالله: أن يحب العبد من أحبه، وما أحبه منقطعاً عن نفسه وهواه .

والحب من الله: أن يأخذك من كل شيء فلا تحب إلا إياه" . (لطائف المنن ص ١٠٦، روضة المحبين ص ٣١٥) .

وبالنظر إلى المحبة من حيث نفوس المحبين، فهي ثلاثة أقسام:

١-نفس سماوية علوية: فمحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان، واجتناب الرذائل، وهي مشغولة؛ بما يقربها من الرفيق الأعلى، وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤها ، فاشتغالها بغيره هو داؤها .

٢-نفس سبعية غضبية، فمحبتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض، والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل، فلذتها في ذلك وشغفها به .

٣-نفس حيوانية شهوانية: فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح، وربما جمعت الأمرين، فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفساد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٤) وقال تعالى في آخر السورة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣) .

والحب في هذا العالم دائر بين هذه النفوس الثلاثة، فأي نفس منها صادفت ما يلائم طبعها استحسنته، ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل، ولم تأخذها فيه لومة لائم، وكل قسم من هذه الأقسام

يرون أن ما هم فيه أولى بالإيثار، وأن الاشتغال بغيره، والإقبال على سواه غَبنٌ وفوات حظ. (روضة المحبين ص ٢٨١).

وأقف بعد هذا الاستطراد، للتركيز على حب الناس لبعضهم بعضاً، ولذا سأتناول من المحبة المشتركة، المحبة الطبيعية فيما يتعلق بالرحمة والأُنس والألفة... وأما من المحبة الخاصة فسأتناول الحب في الله، والحب بالله في دنيا الناس.

أ – محبة طبيعية: ألفة وأنس ورحمة واشتراك في المطالب...

١- الطفل يحب.

٢- حب الإنسان لوالديه.

٣- محبة الوالدين للولد.

٤- محبة الأرحام.

٥- محبة الأصهار.

٦- محبة الأصدقاء.

٧- محبة المشتركين في حرفة أو عمل.

ب – الحب في الله، والحب بالله:

١- محبة آل البيت.

٢- محبة المهاجرين والأنصار.

٣- محبة المؤمنين.

٤- محبة الناس.

١- الطفل يحب: يبدأ الحب والكره عند الإنسان بعد ولادته؛ إذ الحب من الدوافع الفطرية التي يقوم على أساسها حياة كل إنسان، بدءاً بحب نفسه، ومنه يحب غيره، وأول حب يحس به حبه

لأمه، ثم بعد فترة يتعرف على من حوله كالأب . . . وهكذا تتسع دائرة المحبة . . "هذا الحب . . . الذي يبدأ متصلا بالثدي والحضن، ثم يعبر هذه القنطرة إلى عالم "المشاعر" والمعنويات . . . إنه عالم عجيب جداً . . . رائع جداً . . . ونبيل جداً، إنه يظل يرتفع ويتسع . . من نقطة الثدي الصغيرة التي تكوّن عالم الطفل كله . . . حتى يشمل العالم كله . . . حقيقة لا مجاز . . . يشمل الكون كله والحياة كلها . . . ويصل إلى الخالق عزّ وجلّ إنها طاقة ضخمة جداً . . . وذات استعداد عجيب للسعة والارتفاع . . . فبعد أن يحب الطفل أمه كلها . . . لا ثديها وحضنها فحسب . . بل هي كلها كذات مستقلة عنه، حبيبة إليه، وبعد أن يحب أباه كذلك، ويحب من حوله من الناس ممن يلاطفونه، ويلاعبونه، ويعاونونه على الحركة، والسير، والكلام، والتفكير . . . يتسع عالمه الحسي، ويتسع معه كذلك نطاق الحب ومستواه . . . ويجب أن يحمل . . . وأن يدلل . . وأن يناغى . . . وأن يبتسم في وجهه . . . وأن يشجع . . إنها في عالمه قيم وأعمال . . . فهو يحب بادىء ذي بدء القيم اللاصقة بذاته التي تحدث له المتعة والسرور . . ثم حب الآخرين . . ويحب الحياة والأحياء . . ثم يصل إلى القمة القصوى فيحب الله تعالى . . (دراسات في النفس الإنسانية ص ٩٣، ٩٤) .

هذه مسيرة الطفل الطبيعية ما بقي على فطرته التي فطره الله عزّ وجلّ عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠) .

نعم أكثر الناس لا يعلمون استقامة دين الإسلام لعدم تدبرهم ، ومن هنا يكون الانحراف عن الفطرة السليمة، ويكون للوالدين الأثر الأكبر على الطفل، وتوجيه تفكيره، وسلوكه، فعن الأسود ابن سريع رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: "كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعْرِبَ عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه" (فيض القدير ٣٣/٥ رقم الحديث ٦٣٥٦) . ولنا أن نستنير بسيرة من اصطفاهم الله تعالى من خيرة خلقه، من الهداة المهديين من رسله عليهم الصلاة والسلام ،

إذ جعل لنا سبحانه من طفولتهم إضاءات لحقيقة الحب وصفائه، ولحكمة منه عزّ وجلّ، فسيدنا عيسى عليه السلام تكلم وهو في المهد كما قال تعالى عنه وعن أمه عليهما السلام ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم:٢٩-٣١) .

وقال تعالى عن سيدنا يحيى عليه السلام : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم:١٢-١٥) . إنها الفطرة السليمة المتماثلة التي تسمو بالحب ليرتبط بالله تبارك وتعالى وفي ظلاله البر . . . وليكون الرضا والسلام على الدوام.

٢- حب الإنسان لوالديه: والمراد بهذا الحب حب الولد لوالديه بعد أن يصبح مكلفاً شرعاً، يعي أنهما سبب وجوده بعد الله تعالى، وأن محبتهما، وبرهما ، والإحسان إليهما وامتثال أمرهما الذي لا يخالف الشرع واجب شرعي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٣ – ٢٥) . فهو الأمر مقطوع به منه تعالى بوجوب عبادته والإحسان للوالدين مهما كان حالهما .

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف:١٥،١٦)، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء:٣٦)، وقال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأنعام:١٥١) فوضعه سبحانه "موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما"(تفسير البيضاوي ص ١٩٦)، فأكد سبحانه على وجوب الإحسان للوالدين بالقول والفعل. وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾ (العنكبوت:٨) .

وفي السنة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول ﷺ أي العمل أحب إلى الله ؟ قال :"الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال:"بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال:"الجهاد في سبيل الله" (البخاري ومسلم: الترغيب والترهيب ٣/٣١٤) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال : ففيهما فجاهد" (البخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي:الترغيب والترهيب ٣/٣١٥،٣١٤) فأمره الرسول ﷺ بإكرام والديه والانقياد إلى أوامرهما لنيل ثواب الجهاد، ويرغب الرسول ﷺ في محبة الوالدين وبرهما، فيبين أن الإنسان نفسه، وهو يحب ذاته سيبارك الله تعالى له في عمره وذلك ترغيباً في الطاعة والامتثال، فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: "من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره"(رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم والأصبهاني: الترغيب والترهيب ٣/٣١٧) .

وإذا كان الإنسان يحب نفسه، ويحب بسطة الرزق والمال، فإن إكرام الوالدين هو السبيل لذلك، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"من سره أن يمدّ له في عمره، ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه" (رواه أحمد : الترغيب والترهيب ٣/٣١٧) .

ويكبر الإنسان ، ويكبر معه الأمل، ويتمنى بر أبنائه، ومحبتهم له، ليهنأ في حياته، وتقر عينه، وسبيله لذلك بر الوالدين، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :"بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم " (رواه الطبراني: الترغيب والترهيب ٣/٣١٨) .

وعنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد" (رواه الترمذي والحاكم وابن حبان والطبراني والبزار: الترغيب والترهيب ٣/٣٢٢)، وللأم خصوصية تتقدم فيها على الأب؛ لما تكابده من حمل ووضع، ورضاعة، وتربية، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان:١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف:١٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمُّك، قال: ثم من ؟ قال: أمك، قال : ثم من ؟ قال: أمك، قال:ثم من ؟ قال: أبوك" (رواه البخاري ومسلم: الترغيب والترهيب ٣/٣٢١) ولا ينقص هذا من حق الأب، فقد تدبر الحسن البصري رضي الله عنه النصوص فقال: "حق الوالد أعظم، وبر الوالدة ألزم" .

ويجب بر الوالدين، ولو كانا كافرين، قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت:٨) .وقال تعالى: ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ

مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (لقمان:١٥)، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي، وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليَّ أمي، وهي راغبةٌ، أفأصل أمي؟ قال: "نعم صلي أمك" (رواه البخاري ومسلم وأبو داود: الترغيب والترهيب ٣/٣٢١، ٣٢٢).

صلة وتواصل وبر لا ينقطع من الولد لوالديه، ما دامت له حياة، وكان على فطرته؛ لكن الإنسان حين ينحرف عن دين الفطرة، ويتبع هواه لا يأبه بأب ولا أم، ويستسيغ العقوق على البر، والقطيعة على الصلة، والإساءة على الإحسان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن بر الوالدين ومحبتهما يمتدان بعد موتهما، فعن أبي بردة رضي الله عنه قال: قدمت المدينة، فأتاني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: أتدري لِمَ أتيتك؟ قال: قلت: لا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول": من أحب أن يصل أباه في قبره، فليصل إخوان أبيه بعده، وإنه كان بين أبي – عمر – وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك" (رواه ابن حبان في صحيحه: الترغيب والترهيب ٣/٣٢٣).

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرّهما به بعد موتهما، قال: "نعم، الصلاة عليهما (الدعاء لهما بالنعيم والقبول)، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما (العمل بوصيتهما) وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما"، رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه وزاد في آخره: قال الرجل: "ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه، قال: فاعمل به" (الترغيب والترهيب ٣/٣٢٣).

وإن الولد امتداد لوالديه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ (الطور:٢١)، وعن أبي

هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال:"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جاريةٌ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(رواه البخاري في الأدب، ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي: فيض القدير ١/٤٣٧، ٤٣٨ رقم الحديث (٨٥٠)) .

وهما جنته أو ناره فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال:"رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: "من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة" (رواه مسلم: الترغيب والترهيب٣/٣١٨) .

٣) محبة الوالدين للولد : حب الذرية فطري في النفس الإنسانية "وسببه حب الإنسان وجود نفسه، وكماله وبقاؤه" (إحياء علوم الدين ٤/٣٠٠)، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٨٩) .

ودعا سيدنا زكريا عليه السلام ربه، فقال تعالى على لسانه: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾(مريم: ٣-٥) .

ولا تقتصر محبة الوالدين على إدراك الولد ، بل بحب الخير له وبما تقر به الأعين، وقد أشار الله سبحانه إلى عباد الرحمن فقال تعالى على ألسنتهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(الفرقان:٧٤)، وهذا الحب يبرز في حب سيدنا نوح عليه السلام لابنه رغم أنه عزل نفسه عن أبيه ، أو عن دين أبيه، لكن في لحظة الخطر التي تهدد حياة الابن يدعو نوح عليه السلام فقال تعالى على لسانه: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا

بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٖ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(هود:٤١، ٤٢) .

رأى نوح عليه السلام هلاك قومه بالطوفان استجابة لدعوته كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴾(نوح:٢٦، ٢٧)، وكان الوعد الحق من الحق سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾(هود:٤٠)، ورأى نوح عليه السلام أن ابنه من أهله ولهذا توجه إلى الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾(هود: ٤٥)، وكان الرد الرباني بقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(هود: ٤٦) .

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، لقد أحبَّ ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وعارض علياً رضي الله عنه حين رغب أن يتزوج عليها بابنة أبي جهل؛ إذ كيف تجتمع من هي بضعة منه ﷺ مع بنت عدو الله عند رجل . . . وإن ما يؤذي فاطمة رضي الله عنها يؤذي رسول الله ﷺ وما يغيظها يغيظه . . . فإما أمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . . . فيقول الرسول ﷺ "إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنة أبي جهل" (روضة المحبين ص ٣٣٩) . نعم فاطمة رضي الله عنها حبيبته، فعن أسامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "أحبّ أهلي إليّ فاطمة" (فيض القدير ١٦٨/١ رقم الحديث (٢٠٣)) .

أحبها حباً جبلياً ودينياً، وأحب أولادها وفرح بقدومهم وعق عنهم، وداعبهم ولاعبهم ووجههم وأدبهم وعلمهم ووصى بهم، وكان يقول "إن ابني هذا الحسن . . . " ، وعن أنس رضي

الله عنه ، عن النبي ﷺ قال "أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين" (فيض القدير ١٦٨/١ رقم الحديث (٢٠٤)) .

وأحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابنه إبراهيم وبكى لفراقه . . . إن حب الوالدين للولد يفوق بكثير حب الولد لوالديه فهما يجهدان لحياته في صغره وضعفه ويسهران من أجل راحته، يبتسمان لابتسامته ويفرحان بفرحه، ويتألمان لألمه، ويسهران لأجله، ويبذلان بلا منة أو حساب ليقوى ويكبر ويسعد ، وقد يبلغ حبهما له ما يفوق حبهما لنفسيهما ، شتان بين من يريد الحياة والقوة لولده، وبين الولد الذي ينتظر الموت لوالديه حين يهرمان ويضعفان وهما أحوج ما يكونا لحبه وحدبه وإحسانه . . .

"عن عمر رضي الله عنه أنه قال، قلت : يا رسول الله، ما بالنا نرق على أولادنا ، ولا يرقون علينا ؟ قال:"لأنا ولدناهم ولم يلدونا" (أدب الدنيا والدين ص ١٥٢) .

قال ﷺ "الولد أنوط" أي أن حبه ملصق بنياط القلب، فإن انصرف الوالد عن حب الولد ، فليس ذلك لبغض منه، ولكن لسلوة حدثت من عقوق أو تقصير مع بقاء الحذر والإشفاق الذي لا يزول عنه ولا ينتقل منه"(أدب الدنيا والدين ص ١٥١) .

وتلك رحمة من الله سبحانه وضعها في الأرض لتكون جبلة في الخلق على أولادهم، فعن سلمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:" إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طِباقَ ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض، وأخّر تسعاً وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة "(فيض القدير ٢٣٥/٢ رقم الحديث (١٧٤٠)) .

فمحبة الوالدين للولد سنة الله في خلقه ، فقد سئل حكيم عن ولده، فقال: (ما أصنع بمن إن عاش كدني وإن مات هدني) (فيض القدير ١٧٨/٦)، فالولد ثمرة القلب، والقلب يتقلب ، فحب

الولد ينقص كلما كبر واعتمد على نفسه، ولكن عاطفة الأم وتسامحها مع الولد يطغى عليها مهما قسا؛ بل قد تنحاز إلى جانبه إن حاول والده تقويمه انتصاراً لها، وتلك جبلة الأمهات فهن أكثر إشفاقاً ، وأرق قلوباً ، وألين نفوساً ، فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فأتاه آتٍ، فقال: شاب يجود بنفسه، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال:"كان يصلي ؟ فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه، فدخل على الشاب، فقال له:"قل لا إله إلا الله" فقال: لا أستطيع، قال: لِمَ ؟ قال: كان يعقُّ والدته، فقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم:"أحية والدته؟ قالوا: نعم، قال: ادعوها، فدعوها فجاءت فقال:" هذا ابنك؟ قالت: نعم، فقال لها:"أرأيت لو أججت نارًا ضخمة، فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه، وإلا حرقناه بهذه النار، أكنت تشفعين له؟ قالت: يا رسول الله إذاً أشفع له، قال:"فأشهدي الله وأشهديني قد رضيت عنه"، قالت :"اللهم إني أشهدك، وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" فقالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله الذي أنقذه بي من النار" . (الطبراني وأحمد مختصراً، الترغيب والترهيب ٣/٣٣٢) .

وجاء في أمثال الميداني "أن رجلاً تزوج امرأة وله أم عجوز، فقالت المرأة للزوج: لا أنا، ولا أنت؛ حتى تخرج هذه العجوز عنا، فلما أكثرت عليه احتملها على عنقه ليلا حتى أتى واديا كثير السباع، فرمى بها فيه، ثم تنكر لها، فمر بها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك يا عجوز؟ قالت: طرحني ابني هاهنا وذهب، وأنا أخاف أن يفترسه الأسد، فقال لها: تبكين له، وقد فعل بك ما فعل، هلا تدعين عليه؟ قالت: تأبى له ذلك بنات ألبي (وهي عروق في القلب تكون منها الرقة) وأرسلته مثلاً" (الدين المعاملة/المعاملات المادية والأدبية ٦/٤)

٣- محبة الأرحام: وهم الأقارب كافة من غير فرق بين المحرم وغيره، وسموا أرحاماً لأنهم خارجون من رحم واحدة، يجمعهم نسب واحد، وتوحدهم صلات ومصالح مشتركة ، فصلة

الرحم واجبة شرعاً، وقطيعتها محرمة، قال تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٥) وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال :"إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، واقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (محمد:٢٢،٢٣) (البخاري ومسلم/ الترغيب والترهيب ٣/٣٣٨، ٣٣٩) .

إن دافع الإنسان لمحبة الأقارب "يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيراً بهم قوياً بسببهم متجملاً بكمالهم"(إحياء علوم الدين ٤/٢٩٧) وهم يعينون على بقاء الفرد، ويدفعون المهلكات عنه، إذ إن (تعاطف الأرحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والألفة، ويمنعان من التخاذل والفرقة أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب، وتوقيا من تسلط الغرباء الأجانب،روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"إن الرحم إذا تماست تعاطفت" ولذلك حفظت العرب أنسابها) (أدب الدنيا والدين ص ١٠٥) .

وأقر الإسلام معرفة الأنساب، ورتب عليها أحكاماً، ومنها صلة الأرحام؛ التي توجب محبة الأهل والأقارب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر" (فيض القدير ٣/٢٥٢ رقم الحديث (٣٣١٩)، التاج الجامع للأصول ٥/١١) . وهذا يلامس ذات الإنسان، وما تحبه، وتأمل به، فتدفعه نحو الخير والحب خطوة أخرى إلى الأمام فالعم صنو الأب يحترم

لاحترامه، ويجب لمحبته، وهكذا الخالة أم، وهكذا تحترم الفروع تبعاً للأصول. . . ويقدم الأولى فالأولى وقدر الاستطاعة في الصلة والتواصل والبر والألفة والمحبة ولو بالسلام، توثيقاً للصلة، ورعاية للحقوق والواجبات، والتعاون على تبادل المنفعة بما يخدم الجميع، ويعمل على تآلف القلوب، ولإيصال هذه الفكرة عملياً جمع رجل أبناءه الثلاثة، وأعطى أحدهم خبزاً، والثاني أدما، والثالث فاكهة، ورخص لهم في القسمة معاً فتطلع كل منهم إلى ما بيد أخيه، واتفقوا على أن يقسم كل منهم نصيبه أثلاثا، ويبقي الثلث لنفسه، ويبادل أخويه في الثلثين الآخرين، فتم لكل واحد منه أنصبة متعادلة من الخبز والأدم والفاكهة" (الدين المعاملة/المعاملات المادية والأدبية/٤/٧) .

كان التعاون والاتفاق والائتلاف مع ما يجمع بينهم من محبة طبيعية، ويضرب الله سبحانه لنا مثلاً على محبة الأقارب، فيقول الله تعالى في كتابه على لسان سيدنا موسى عليه السلام : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾(طه:٢٩-٣٢)، إلى أن قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾(طه:٣٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾(القصص:٣٥)، ويقول تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام مخاطباً إخوته الذين تآمروا على التخلص منه: ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾(يوسف: ٩٣) .

فالأقارب يأتون في الصلة بعد الأصول وهم الأولى بالمعروف ضمن الضوابط الشرعية قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾ (النساء:٣٦) . وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ (البقرة:٢١٥) . وقال ﷺ "والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وعنده قرابة محتاجون لصدقته ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة" .

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة رحم (فيض القدير ٢٣٧/٤ رقم الحديث (٥١٤٥) ، ذلك أن التواصل بين الأقارب لا بد منه وليس رهين التعامل بالمثل ، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : "ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قُطِعَت رحمه وصلها" (البخاري واللفظ له وأبو داود والترمذي:الترغيب والترهيب ٣٤٠/٣) .

بل يتخطى الإسلام ذلك بوجوب صلة المبغض والمسيء حفاظاً على حق الرحم والتواصل بين الأقارب أملاً بتعديل الكره إلى محبة وإلا بمحاصرته بالإحسان، فعن أم كلثوم بنت عقبة – رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :"أفضل الصدقة، الصدقة على ذي الرحم الكاشح" (رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم: الترغيب والترهيب ٣٤١/٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: " يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم، ويسيئون إليَّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ: فقال:إن كنت كما قلت: فكأنما تسفّهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك" (رواه مسلم: الترغيب والترهيب ٣٤١/٣) .

٥ – محبة الأصهار: تبدأ بعلاقة الزوجين، إذ الزواج الشرعي هو السبب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ (الفرقان:٥٤)، فينصهران كحال ونفس واحدة، قال تعالى:﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)، فيسكن الزوج إلى زوجه. . . " يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة

فتلذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنف بشم رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه، وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها، وتقابله من المحبوب، فإن فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة إليه، متقاضية له، فلا تسكن كل السكون، ولذلك تسمى المرأة سكناً لسكون النفس إليها" (روضة المحبين/٢٣٧) . قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١) . ولتكون المحبة والمودة والرحمة بين الزوجين سبيلاً لصهر وتذليل العوائق والحواجز بين أهل الزوجين. . . فيكون التواصل والتراحم والتعاون والألفة والمودة عن رغبة واختيار" . "ولم تزل العرب تجتذب البعداء وتتألف الأعداء بالمصاهرة، حتى يرجع النافر مؤانساً ، ويصير العدو موالياً ، وقد يصير للصهر بين الاثنين ألفة بين القبيلتين، وموالاة بين العشيرتين، حكي عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه قال:"كان أبغض خلق الله إليّ آل الزبير، حتى تزوجت منهم رملة، فصاروا أحب خلق الله عز وجل إليّ، وفيها يقول:

أحـبُّ بني العــوام طُرّاً لأجلها ... ومن أجلها أحببت أخوالها كلباً

فإن تسلمي نُسلم وإن تنصري ... يخطّ رجـالٌ بين أعينهـم صلباً"

(أدب الدنيا والدين ص ١٥٥)

وإن من زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القدوة الحسنة في العلاقة بين الأصهار، بل إن من أزواجه من كانت خيراً على قومها .

٦ – محبة الأصدقاء: بصدق الاعتقاد في المودة قال تعالى: ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ (الشعراء:١٠١)، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧) . قال ثعلب: إنما سمي الخليل خليلاً، لأن محبته تتخلل القلب، فلا تدع فيه خللا إلا ملأته، وأنشد الرياشي قول بشار:

قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا"

(أدب الدنيا والدين ص ١٦٣)

إن صديقك من صَدَقك، وليس من صدّقك، وسمي الصديق صديقاً لصدقه، "فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة" (بصائر ذوي التمييز ٣/٣٩٩، ٤٠٠) . وفي الحديث "عليكم بإخوان الصدق، فإنهم زينة في الرخاء، وعصمة في البلاء" (أدب الدنيا والدين/١٦٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:"الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"(رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٩) وأخرجه أحمد (٢/٣٠٣)، والحاكم (٤/١٧١)، رياض الصالحين ص ١٩٥ رقم الحديث (٨/٣٦٧)) .

فيجب الحرص في اختيار الصديق قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(الزخرف:٦٧)، قال سيدنا علي – رضي الله عنه – في هذه الآية: "خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فتوفى أحد المؤمنين، وبُشر بالجنة، فذكر خليله فقال: اللهم إن فلانا خليلي كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي، حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه، كما رضيت عني، فيقال له: اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحكت كثيراً وبكيت قليلاً، قال ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما، فيقال ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل منهما لصاحبه نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل" (رواه ابن أبي حاتم تفسير القرآن العظيم ٤/١٣٣) .

فنعم الصاحب ذو الخلق الحسن مع التقوى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"(رواه أبو داود ٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٩٧) وسنده حسن) .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

صاف الكرام فخير من صافيته من كان ذا أدب وكان ظريفا

واحذر مؤاخاة اللئيم فإنه يبدي القبيح وينكر المعروفا

(هامش الترغيب والترهيب ٣/٤٩٥)

وقال عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدي

وصاحب أولي التقوى تنل من تقاهمو ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

(الحب والأحباب ص ١٠٣)

ومن أقوال الحكماء: "اسبرُ تَخْبُر" "اعرف الرجل من فعله لا من كلامه، واعرف محبته من عينه لا من لسانه" (أدب الدنيا والدين ص ١٦٦) .

وإن الصداقة مكتسبة تبدأ بالتجانس ثم بالمواصلة ثم بالانبساط فتحدث المؤانسة ثم المصافاة بخلوص النية لتكون المودة القائمة على الثقة، فإن اقترنت بها المعاضدة فهي الصداقة لتؤدي إلى المحبة بسبب الاستحسان، فإن كان لفضائل النفس حدث الإعظام، وإن كان الاستحسان للصورة والحركات حدث العشق . (أدب الدنيا والدين ص ١٦٤) .

٧ – محبة المشتركين في حرفة أو عمل: وتقوم على المنافع المتبادلة، والمصالح المشتركة، وعلى التجانس الذي يؤدي إلى التواصل والتآلف، فإذا ما قوي كانت المحبة "فإذا ما تأملت الوجود لا تكاد تجد اثنين يتحابان إلا بينهما مشاكلة، أو اتفاق في فعل أو حال أو مقصد ، فإذا تباينت المقاصد والأوصاف والأفعال والطرائق لم يكن هناك إلا النفرة، والبعد بين القلوب" (روضة المحبين ص ٨٥) "فثبت أن التجانس وإن تنوع أصل الإخاء وقاعدة الائتلاف . . ." (أدب الدنيا والدين ص ١٦٣) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"الناس معادن

كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" (مسلم (٢٦٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٤)، رياض الصالحين ص ١٩٦، ١٩٧ رقم الحديث ٣٧١/١٢) .

وفي منثور الحكم "الأضداد لا تتفق، والأشكال لا تفترق" (أدب الدنيا والدين ص ١٦٣) (روى أبو يعلى في مسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: كانت امرأة بمكة المكرمة مزّاحة، فنزلت على امرأة مثلها في المدينة المنورة، فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: صدق حسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الأرواح جنود مجندة أما التي بينها تناكر وتباين وتباعد وتغاير فإنها تختلف، وينفر بعضها من بعض، ولا يود لقاءه" فالأخيار الأبرار، الأمجاد الأطهار إذا وجدوا في مجتمع جذبوا أشباههم، أو انجذبوا إليهم، وسرى بينهم تيار من المحبة جمع قلوبهم، ووثق فيها روابط الصلة وعرى الإخاء والمودة" (الدين المعاملة/المعاملات المادية والأدبية ٢٦/٤) .

ب) الحب في الله، والحب بالله: وسببه الدين، وهو أقوى قاعدة في إصلاح الناس واستقامتهم "يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب عن إراداتها؛ حتى يصير قاهراً للسرائر، زاجراً للضمائر، رقيبا على النفوس في خلواتها، نصوحاً لها في ملماتها" (أدب الدنيا والدين ص ١٣٦) وبذا تكون إرادة المسلم تبعاً لما يرضي الله تعالى ورسوله: قال صلى الله عليه وآله وسلم :"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" . ويدخل في هذا الحب:-

١- محبة آل البيت: لقوله تعالى في مدحهم: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ (الأحزاب:٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ (الشورى:٢٣)، فالمودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في أهلها، أو في حق القرابة ومن أجلها كما جاء في الحديث "(الحب في الله والبغض في الله" (تفسير البيضاوي ص ٦٤٢) .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :"من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمد لم يَرَح رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي" .

قال (القرطبي) : وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال :"وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:"من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل بالإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم مُنكر ونكير،ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات في حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا، ألا ومن مات لم يشم رائحة الجنة" (الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن ٢٣/١٦) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي" (التاج الجامع للأصول ٣٤٩/٣) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداةً وعليه مِرطٌ مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"(رواه مسلم: التاج الجامع للأصول٣٤٧/٣) .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:"أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتابُ الله

فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي "وقد سأل الحصين بن سبرة رضي الله عنه زيداً هل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته فأجاب بأنهن من أهل بيته، ولكنهن لسن من أهل البيت الذين حرمت عليهم الزكاة، لأنها أوساخ الناس فلا تليق بالأشراف" .

ولا تعارض بين ما روي عن علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم لأن هؤلاء من آل البيت وليسوا محصورين بهم، فآية الأحزاب بما سبقها وتبعها تثبت أن أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم من أهله بخلاف ما ادعاه الشيعة .

ولما روي عن علي رضي الله عنه قال : شكوت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسد الناس لي، فقال: "أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا .(الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن ٢٢/١٦) .

وعلى ضوء ما تقدم وغيره وجب تربية الأولاد على محبة آل البيت، فعن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه: (فيض القدير ٢٥٥/١ رقم الحديث (٣١١)) .

٢) محبة المهاجرين والأنصار: قال تعالى : ﴿ **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ** ﴾(التوبة: ١٠٠) . "والسابقون الأولون من المهاجرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين، والذين شهدوا بدراً، والذين أسلموا قبل الهجرة،

والأنصار هم أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليه أبو زرارة مصعب بن عمير رضي الله عنه " (تفسير البيضاوي ص ٢٦٦) .

فقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح:٢٩) .

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:١١٧) .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"خير الناس القرن الذي أنا فيه ثمَّ الثاني ثمَّ الثالث" رواه مسلم (فيض القدير ٤٧٨/٣ رقم الحديث (٤٠٣٤)) وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي صلى اله عليه وآله وسلم قال:"خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السّمن يعطون الشهادة قبل أن يُسألوها" رواه الترمذي والحاكم (فيض القدير ٤٧٩/٩ رقم الحديث (٤٠٣٧))، "فالمهاجرون والأنصار رضي الله عنهم لهم الفضل فهم الذين آمنوا به حين كفر الناس وصدقوه حين كذبوه ونصروه حين خذلوه وجاهدوا وآووا " قال الخواص: "كان لأهل القرن الأول كمال الإيمان ولأهل الثاني: كمال العلم ولأهل الثالث كمال العمل، ثم تغيرت الأحوال والمواسم في أكثر الناس" (شرح الحديث في فيض القدير ٤٧٩/٣) .

إنهم المؤمنون الذين أنزل الله عليهم الثبات والطمأنينة، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (الفتح:٤)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح:١٠) ، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:١٨) . ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة:٥٤) .

ولقد ذكر الله سبحانه في كتابه المهاجرين على انفراد في آيات عديدة تعظيماً لأمر الهجرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:٢١٨)، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ (آل عمران:١٩٥)، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ (التوبة:٢٠)، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤١)، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (الحج: ٥٨، ٥٩)، وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ (الحشر:٨) .

وقال تعالى في شأن الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩) .

قيل لأنس رضي الله عنه أرأيت اسم الأنصار أكنتم تسمون به أم سماكم الله، قال: بل سمانا الله عز وجل.

إن مـن دلالات الإيمان حب الأنصار، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله" (البخاري ٩٧/٧).

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار" (التاج الجامع للأصول٣٨٧/٣).

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأسوة الحسنة، فعـن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى صبياناً ونساءً من الأنصار مقبلين من عرس، فقام فقال: " اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ ثلاث مرار" (التاج الجامع ٣٨٧/٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت من الأنصار"(البخاري والترمذي:التاج الجامع ٣٨٧/٣)

٣) محبة المؤمنين: يرتقي الإيمان بالإنسان ليكون جزءاً من نفس واحدة في القول والفعل والاعتقاد، وفي الفرح والترح وفي الأمل والغاية، قال تعالى: ﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (التوبة:٧١)، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾(الحجـرات:١٠)، أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيـل:إخوة الدين أثبت من أخـوة النـسب، فأخـوة النسب تنقطـع بمخالفة الـدين، وأخـوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، وفي الصحـيحين "لا تحاسدوا،

ولا تباغضـوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا" (الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٢٢، ٣٢٣) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (مسلم وأحمد في مسنده: فيض القدير ٥/٥١٤ رقم الحديث (٨١٥٥)) .

وإذا كان المؤمنون أولياء بعضهم بعضاً فإن هذا لا يفرقهم بل يوحدهم في ولاية واحدة هي ولاية الله القائل في كتابه: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (البقرة:٢٥٧)، وفي الحديث "إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله قالوا: يا رسول الله فخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولايحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ "(يونس: ٦٢) .

٤- محبة الناس: ويقصد بذلك المعنى أي الإنسانية، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣)، فالناس بنو آدم، والله سبحانه خلق آدم من تراب، وخلق الخلق بين الذكر والأنثى أنساباً وأصهاراً وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها "(الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٤٢)، فخاطب سبحانه الناس بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (النساء:١)، بهذا بدئت سورة النساء، وبه بدئت سورة الحج، وتشير سورة النساء -في سياق الأمر بتقوى الرب- إلى أولى النعم وأهمها، وهي نعمة الخلق، ونعمة الرحم التي انتظمت الناس جميعاً، والتي نشأت عن خلقهم عن نفس واحدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(النساء:١)، وبهذا كان الناس في نظر القرآن– على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وتباين أقطارهم – أسرة واحدة للواحد منها حق الأسرة، وعليه واجبها ، فلا تظالم، ولا طغيان، ولا طبقات، ولا استغلال، ولكن محبة وتآلف وعدل ومساواة، وهذا أصل قرره القرآن في غير ما آية، ودعا به الإنسانية إلى التصافي والتعاون، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر" (تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى ص ١٦٧) .

وكانت رسالة الإسلام والرسول من أجل أن تعم المحبة والرحمة بين الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء:١٠٧)، وخاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الناس كما أمره الله تعالى على قدم المساواة، فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(الأعراف: ١٥٨) .

وعن أبي نضرة قال: حدثني أو حدثنا من شهد خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنى في وسط أيام التشريق، وهو على بعير فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ؛ ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال : ليبلغ الشاهد الغائب" وفيه عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه، وإنما أنتم بنو أدم، وأحبكم إليه أتقاكم" . (الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٤١، ٣٤٢) .

وإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حريص على خير الناس، وأن يسود بينهم المحبة والوئام، وإن أحبهم إليه هم الذين يحبهم الناس ويحبون الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم "إنّ أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العيب" (الترغيب والترهيب ٣/٤١٠ رقم الحديث (٣٣)) .

وعن يزيد بن أسيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أحب للناس ما تحب لنفسك" (فيض القدير ١/١٧٦ رقم الحديث ٢٢٣)) ، وقال الإمام علي رضي الله عنه : "كونوا في الناس كالنحلة في الطير؛ إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها ، لو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها ، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب" (تاريخ الخلفاء ص ٢٨٨) .

ويرشدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى وسائل الاتصال والتواصل مع الناس، وبما يحقق الألفة ويديم المودة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق" (فيض القدير ٢/٥٥٧، رقم الحديث (٢٥٤٥)) . وقال: "أمرني ربي بمداراة الناس ونهاني عن ملاحاتهم" (أي شتمهم وسبهم) ، وقال: "رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس" .

وروي أن "سيدنا داود عليه السلام جلس كئيباً خالياً فأوحى الله إليه: مالي أراك خالياً ؟ قال هجرت الناس فيك، قال: أفلا أدلك على شيء تبلغ به رضاي، خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك" ، ولما كانت وسيلة الخطاب الكلمة والكلمة الطيبة صدقة قال الله تعالى : ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ (البقرة:٨) .

وبعد : فهذه إضاءة على الحب الممدوح ضمن حدود الموضوع، وفي دائرة الحب الجبلي والحب الاختياري، والذي يكون فيه للإنسان إرادة، ليسلك الطريق الوسط، والمنهج الأقوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً

ما، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما"(فيض القدير ١/١٧٦ رقم الحديث (٢٢٣)) . وقال سيدنا عمر رضي الله عنه "لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفاً"، وقال الحسن البصري رضي الله عنه "أحبوا هوناً وأبغضوا هوناً، فقد أفرط قوم في حب قوم فهلكوا، وأفرط قوم في بغض قوم فهلكوا" .

نعوذ بالله من الشطط والضلال والهلاك، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

٣- لسان العرب، لابن منظور ،دار صادر ، بيروت طبعة ١٩٩٧م.

٤- المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،جمهورية مصر العربية،دار عمران، الطبعة الثالثة.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار،المكتبة العلمية،بيروت.

٦- تاج العروس من جوهر القاموس،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق علي التلالي، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٩هـ،١٩٦٦م.

٧- الجامع لأحكام القرآن،لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،الناشر مؤسسة مناهل العرفان،بيروت،توزيع مكتبة الغزالي،دمشق.

٨- تفسير القرآن العظيم،لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، طبع بدار إحياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي،لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠- تفسير القرآن الكريم،الأجزاء العشر الأولى، محمود شلتوت، الطبعة التاسعة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، دار الشروق،بيروت،القاهرة.

١١- فتح الباري لشرح البخاري،لابن حجر العسقلاني،الطبعة الثانية،دار إحياء التراث العربي،بيروت.

١٢- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، الناشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، توزيع مكتبة الغزالي، دمشق.

١٣- رياض الصالحين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، شرح محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ، ١٩٣٨، مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية، مصر.

١٥- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لزكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه بفتح جديد من الله سبحانه وتعالى مصطفى محمد عمارة، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم، منصور علي ناصف، الطبعة الرابعة (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥)، دار الفكر – بيروت.

١٧- الموافقات في أصول الفقه لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، وعليه شرح لعبد الله دراز، ضبطه ووضع تراجمه محمد عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، مصر.

١٨- تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، مصر.

١٩- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دققه وعلق عليه مصطفى السقا، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عصام فارس الحرستاني ومحمد يونس شعيب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دار الجيل، بيروت.

٢١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم الحسين العراقي وتمامه للنفع ألحقنا بالكتاب في آخره ثلاثة كتب:

الأول: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، لعبد القادر بن الشيخ ابن عبد الله بن الشيخ بن عبد الله العبدروسي باعلوي.

الثاني: الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالي رد به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

الثالث: عوارف المعارف للسهروردي.

٢٢- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق محمد موسى الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣- لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندري، تحقيق عبد الحليم محمود.

٢٤- المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي المحلي.

٢٥- طوق الحمامة في الألفة والألاف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، وقدم له إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية بمصر.

٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أحمد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

٢٨- الـدين المعاملـة،المعاملات الماديـة والأدبيـة،لعلي فكري،الطبعـة الأولى ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٩- الحب والأحباب،فؤاد شاكر،الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي،القاهرة.

٣٠- دراسات في النفس الإنسانية،محمد قطب،الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت،القاهرة.